أصوات صحافية عراقية في بيروت

وضع الصحافي العراقي أسوأ وضع في العالم!

مهنة البحث عن المتاعب أصبحت في عالم الدمار والمتفجرات والإرهاب مهنة البحث عن الموت والاغتيالات واللوائح الاسمية لصحافيين مهدور دمهم ومطلوبة تصفيتهم.

هذا هو واقع صحافة اليوم وصحافييها في بقاع كثيرة من العالم وتحديداً في العالم العربي، وبخاصة في عراق ما بعد الاحتلال ولبنان ما بعد الانسحاب. وإذا كان الشهيد سمير قصير والشهيدة الحية مي شدياق دفعا بالدم ضريبة الرأي الحر فإن لائحة أسماء زملائهم في العراق الجريح تطول وتطول. وإليكم بعض معاناة الزملاء في مهنة البحث عن الموت في العراق.

خمسة عشر صحافياً عراقياً تابعوا في معهد الصحافيين المحترفين التابع للجامعة اللبنانية الأميركيين دورة تدريبية بين السادس والعشرين من الشهر الفائت والخامس من الشهر الحالي، وقد خضع الصحافيون والصحافيات المتدربون لدروس وورش عمل هدفت لتطوير قدراتهم في مجالات التحرير واستقصاء المعلومات وأخلاقيات العمل الإعلامي والمقابلات وكتابة التحقيقات والأخبار التلفزيونية والإذاعية.

«الأفكار» التقت مديرة المعهد المضيف ماجدة ابو فاضل فكان تفصيل في سبب دعوة الصحافيين العراقيين وكذلك التقت الزملاء العراقيين فوجدت في كل منهم «مشروع شهيد» نظراً للخطورة التي تحيط ظروف عملهم سواء لجهة تنقلهم بين ألغام السيارات المتفجرة أو بين رصاصات القنص وتنفيذ فتاوى الإعدام. فأي واقع يعيشه صحافيو العراق؟

يكفي أن تتحفظ محاورتنا الصحافية عن ذكر اسمها أو السماح لنا بنشر صورة لها حتى نتخيل جو الخوف والإرهاب الذي يعيشه صحافيو العراق هذه الأيام.

تقول صحافيتنا المجهولة:

- أعذروني لعدم الإفصاح عن هويتي لأنني مهددة بالقتل شأن صحافيين كثر، فقبل حضوري الى لبنان بخمسة أيام وزعت على أبواب المساجد لوائح بأسماء الصحافيين المطلوب تصفيتهم واسمي من بين هؤلاء، وبالفعل فقد جرى إعدام أربعة صحافيين من الواردة أسماؤهم في اللائحة، أحدهم مديري في الصحيفة وصحافية أخرى هي صديقة لي! فنحن صحافيون عرب في الموصل ويبدو أن المسلحين الارهابيين لم يرق لهم أن ننقل كصحافيين عرب حقيقة أعمالهم الإرهابية فراحوا ينشرون أسماءنا على لوائح الاعدامات. وأنا شخصياً ذهبت الى المشرحة وتسلمت مع ذوي مديري جثته.

وتتابع صحافيتنا:

- ليس في العراق اليوم أية حماية للصحافيين وبخاصة الصحافيين العراقيين. فالصحافيون الأجانب يتنقلون بحماية توفرها لهم مؤسساتهم الصحافية. أما نحن فنتنقل كالعصافير في غابة من صيادي اللحوم البشرية. ففي عهد صدام حسين كنت أمارس عملي الصحافي بأمان ولكن هامش الحرية كان ضيقاً جداً وكانت الخطوط الحمراء هي خطوط الكلام عن «الريس» وأسرته والحزب الحاكم وإذا التزمت هذه الخطوط أنت في مأمن، أما اليوم فيمكنك الحديث عن أي مسؤول وعن أي أمر ولكنك مهدد بالقتل. فقبلاً كنا نختار بين الحرية والسجن واليوم علينا الاختيار بين الحرية والقتل. فوضعنا جداً مأساوي لأنك كصحافي عراقي كنت أيام صدام عندما تتجنب الحديث عن النظام تسلم أما اليوم فإذا أنت تعرضت لأصغر مسؤول علماني أو ديني، قد تعرّض نفسك للقتل على يد مناصريه!

وتشير صحافيتنا الى أنحاء متفرقة من جسمها لتدلنا على آثار الشظايا التي أصابتها جراء انفجار سيارة مفخخة. وتعلق قائلة:

- هذا هو وضعنا في العراق والحماية التي نتكل عليها هي حماية الحامي الأحد!

امرأة على لائحة القتل

والى صحافية أخرى متحفّظة على هويتها واسمها مدرج على لائحة القتل. ونستفزّ صحافيتنا الجريئة ونسألها عن جدوى صحافة الخوف، فإذا كان الصحافي خائفاً من نشر صورته في المجلة فأية حرية صحافية تنشدون؟ وتجيب الحاملة روحها على كفها:

- وهل ترضى أنت أن أتعرض للقتل لمجرّد رغبتك بنشر صورة لي؟ فاسمي مدرج على لوائح القتل ومعمم على مساجد بالجملة ولكن صورتي مجهولة بالنسبة للقتلة. أما عندما تنشرون صورتي فسيتعرف علي القتلة وسيعممون اسمي وصورتي أيضاً. فهل تسمي هذا خوفاً أم احترازاً؟

وتزيد:

- صدقني، إن وضع الصحافي العراقي هو أسوأ وضع في العالم، فهو مهدد بالقتل ومع ذلك يعمل بدون حماية وحتى المؤسسة التي يعمل فيها لا تؤمن له أدنى حقوقه في الحماية والضمان والتعويض. فهل تعلم أنه في عراق اليوم إذا تعرّض الصحافي للقتل أو للإصابة أو لبتر يده أو رجله جراء انفجار عبوة ناسفة أثناء تغطيته خبر ما أو جراء تعرضه لمحاولة اغتيال بسبب مزاولته عمله، فإن المؤسسة الإعلامية التي يعمل فيها هذا الصحافي لا تعوّض عليه ولا تدفع له أي بدل مادي تعويضاً عن إصابته؟ فهل هذا يجوز؟ وهل يجوز أن يستشهد الصحافي على أيدي الإرهابيين ولا يعوّض على عائلته؟

وتتابع الصحافية الإذاعية:

- واقع الإعلام في العراق اليوم موزع بين إعلام حزبي يروّج لأفكار الحزب الذي يدين بالولاء له، وليس شرطاً أن تكون كل إذاعة تابعة لحزب فهناك إذاعات تتبع أشخاص كما هي حال حارث الضاري (رئيس تجمع العلماء المسلمين في العراق) وإذاعته «المجاهدون». فهذه الإذاعة الشخصية إذا صح القول تندد على الملأ بالسلطة وبالشرطة وبالمترجمين وبالصحافيين و«على عينك يا تاجر». أما النوع الآخر من الإعلام فهو الإعلام المستقل المملوك من صحافيين لا توجه سياسياً لهم، ولكن هذا النوع من الاعلام قصير الحياة، لأن استمرارية الوسيلة الإعلامية ترتبط بتوفر مصدر مادي لها توفّره اليوم الأحزاب. ومن هنا نجد أن فورة الصحف التي يعيشها العراق والتي يتعدى عددها مئات الصحف إنما هي في معظمها طفيليات على عالم الإعلام وبمرور الزمن ستتلاشى هذه الفقاعات وسيبقى الإعلام الرصين والصحافي الرصين.

وعن الإعلام الديني المنتشر بكثرة في العراق تخبرنا الإذاعية الأربعينية بأن هناك كماً من الصحف التي تطبع وتوزع حصراً في المساجد، والسبب وراء هذه الصحوة الدينية هو الكبت الذي عانت منه المرجعيات الدينية الشيعية خلال حكم البعث. ففي عهد صدام من كان يقول: «صلى الله على محمد وآل محمد» كانت تتم محاسبته ومن كان يقصد الجامع كانت تتم مراقبته للتأكد ما إذا كان عضواً في حزب «الدعوة» أو سواه من الأحزاب المحظورة في حينه.

وعن واقع الصحافيات العراقيات تقول:

- عرف العراق حرية الصحافة منذ عقود طويلة، وفي العام ١٩٥٨ تأسست كلية الإعلام وفي العام ١٩٧٣ دخلت الفتيات هذه الكلية وانتشرت ظاهرة الصحافيات، مع العلم أن في العراق صحافيات رائدات من مثل سلوى زكّو وصحافية أخرى مسيحية أصدرت جريدة في العام ١٩٤٠. ورحم الله تلك الأيام، فللأسف واقع الصحافة في العراق اليوم في الحضيض ويكفي أن يدخل الصحافي الى قصر المؤتمرات أو الى المنطقة الخضراء حتى يرد اسمه تلقائياً على لوائح القتل ويتم تصنيفه على أنه خائن. وأنا رأيت اسمي على هذه اللائحة في المرتبة ١٨.

مديرة المعهد ماجدة أبو فاضل.

وتختم محدثتنا الحديث عن المآسي بالقول إن العراق يعاني من ٣ ويلات: البعثيين والتكفيريين والأميركان. والثلاثة يتحملون مسؤولية ما يحصل، «فأنا لا أعتقد أن صدام حسين كان أقوى من أميركا وكان يمسك بالحدود ويمنع العنف والإرهاب فما يجري يصب في مصلحة أميركا بهدف تمزيق العراق وتقسيمه الى ٣ دويلات».

خضر والصحافة الكردية

والى صحافي عراقي بالاسم والصورة هو خضر دوملي، والسبب وراء كشف خضر عن هويته ليس جرأة زائدة بل ظروف مغايرة عن ظروف زميلاته. فخضر صحافي كردي يعيش ويعمل في كردستان العراقي وبالتالي فهو ليس مهدداً بالقتل. خضر تخرج في العام ١٩٩٥ من كلية الإعلام في بغداد ولم يرغب بممارسة الصحافة في وسائل إعلام النظام البعثي،

وفي العام ١٩٩٩ بدأ العمل كصحافي في إذاعة الحزب الديمقراطي الكردستاني في دهوك ومن ثم انتقل الى تلفزيون كردستان. واليوم ترك خضر الصحافة الحزبية الى الصحافة المستقلة. وعن واقع الصحافة الكردية يقول:

- قبل سقوط نظام صدام كانت الصحافة الكردية بمعظمها صحافة حزبية يتنازعها الفصيلان الكرديان الرئيسيان، أما اليوم فلأول مرة نشهد تحول الصحافة الكردية وحتى الحزبية منها، من الترويج لأفكار الحزب الى العمل الصحافي الميداني الفعلي فأصبحت الصحافة تهتم بقضايا الناس لسد الفجوة التي أحدثتها الحالة الترويجية السابقة بين القارئ ووسيلة الإعلام.

خضر الكردي يكتب بشكل أساسي باللغة العربية وهو مراسل لصحيفة «الصباح» البغدادية ولوكالة «PNA» ولمجموعة من الصحف الخاصة بالأقليات. فخضر الكردي ليس مسلماً بل هو يزيدي ومن هنا فهو يشغل مناصب عدة في مجموعة من الصحف الالكترونية اليزيدية.

ونسأل الصحافي اليزيدي عن وضع الأقليات في كردستان العراق فيجيب:

- لطالما شكلت كردستان موئلاً للحرية الدينية ولحماية حقوق الأقليات، فصحيح أن هناك بعض مشاكل تحصل بين هذه الأقليات ولاسيما في كركوك بسبب ما زرعه النظام السابق من بذور شقاق ولكن هذه الخلافات لا تذكر. ففي كردستان الحق لكل الأقليات بإصدار صحف وإنشاء إذاعات ومراكز ثقافية وتعليمية ونواد، وحكومة الاقليم تدعم هذه النشاطات وتنظم المناهج الدراسية لهذه الأقليات التي تدرّس بلغاتها القومية.

حيدر نجم مراسل «الشرق الأوسط».

وأخيراً نسأل خضر عن رأي الأقليات الكردية في شكل الدولة أهي مركزية أم فدرالية فيجيب:

- لقد عانينا الكثير من المركزية وانطلاقاً من تجربتنا وجدنا أن النظام اللامركزي الفدرالي يؤمن متسعاً من الحرية ما يسمح لكل الأقليات بالحصول على حقوقها كاملة. ففي برلمان الإقليم الكردي حصلت الأقليات على نسبة أكبر بكثير مما حصلت عليه من مقاعد في البرلمان المركزي. والأمر عينه ينطبق على حقوق الأقليات المصانة في القانون الأساسي للاقليم.

حيدر والأجور الزهيدة

والى مراسل جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية في بغداد حيدر نجم ومعاناة من العيار الثقيل تزيد من مرارتها نبرة صوت حيدر الذي تخرج الكلمات من فمه كلمى حزينة ووجه عابس وثغره مطبق.

حيدر خريج إدارة واقتصاد من جامعة بغداد، تعلّق بالصحافة من خلال قراءته الصحف اللبنانية والعربية التي كانت تصل الى روضة للأطفال السوريين مجاورة لمنزله. فكان حيدر يواظب على قراءة هذه الصحف مثال «النهار» و«السفير» و«الشرق الأوسط» التي كانت تدخل بغداد صدام حسين وكان مقص الرقابة شأنه في معظم الدول العربية حتى اليوم ينال من الأخبار التي تمس النظام ويترك الباقي.

يكفي أن يدخل الصحافي العراقي الى قصر المؤتمرات أو المنطقة الخضراء حتى يوضع على لائحة القتل!

هذه الهواية تحولت بعد سقوط النظام الى مصدر للقوت اليومي لحيدر الذي لم يجد عملاً يزاوله سوى الصحافة على الرغم من مخاطرها المتعددة، ومنذ عام ونيف يراسل حيدر جريدة «الشرق الأوسط».

يقول حيدر إن الصحافي العراقي يعاني «هوايا مشاكل» (أي مشاكل جمة) فهو ملاحق من قبل المسلحين ويومياً تصله تهديدات وبسبب هذه التهديدات أقفلت «الشرق الأوسط» مكاتبها في بغداد بعدما خطف المسلحون أحد موظفي مكتب الصحيفة في حي المنصور.

ونختم الحديث عن معاناة الصحافيين العراقيين بالحديث عن الطامة الكبرى في معاناتهم والمتمثلة بأجورهم الزهيدة.

خضر دوملي: يتسلم شهادته

عن أجور الصحافيين العراقيين يقول حيدر:

- لست وحدي أعاني من هذا الشح في المدخول بل هذه هي حال معظم الصحافيين العراقيين سواء مراسلي الصحف المحلية أو الدولية، فمعاش حيدر الشهري وسواه من مراسلي الصحف اليومية الدولية لا يزيد عن ٣٠٠ دولار أميركي في الشهر، وهذا الأجر الزهيد تطرقت إليه إحدى صحافيات الشرق الأوسط التي عالجت الموضوع في تحقيق مطول عرضت فيه كيف أن مراسلي المؤسسات الإعلامية من غير العراقيين كانوا يتقاضون آلاف الدولارات وتؤمن لهم كل خدمات الفندق والرعاية والنقل والحماية، وكيف أن أجر الصحافي العراقي الذي يتجول يومياً حاملاً روحه على كفه، لا يزيد عن حاجته. ولكن ما العمل طالما أن لا عمل آخر وليس هناك من مصدر آخر للمال؟

ماجدة أبو فاضل وأخلاقيات المهنة!

وتبقى مديرة معهد الصحافيين المحترفين في الجامعة اللبنانية الأميركية ماجدة أبو فاضل صاحبة الخبرة الصحافية والأكاديمية التي تربو على ٢٥ سنة في لبنان والخارج والتي شرحت الهدف من هكذا دورات لصحافيين عراقيين. تقول أبو فاضل:

- لقد وجدنا أن زملاءنا الصحافيين العراقيين بحاجة الى تطوير مهاراتهم وقدراتهم، فنحن لا نحصر دورنا بالصحافيين اللبنانيين بل تشمل اهتماماتنا كل الدول العربية. لأن مهمتنا كمعاهد تدريبية هي مواكبة العصر والتطورات والمعارف التي تطرأ على مجالات الصحافة، وكذلك فإن من أهم ما نركز عليه في المعهد هو تدريب الصحافيين على اتباع والتزام أخلاقيات العمل الإعلامي، وكل هذه المعارف التي نكتسبها ننقلها الى الصحافيين المتمرسين من خلال دورات وندوات ونشاطات ولقاءات ومؤتمرات ننظمها لهذه الغاية. فالصحافيون بحكم انشغالاتهم أو عدم قدرة أو رغبة مؤسساتهم على القيام بمهمة التطوير هذه، نجدهم غير قادرين على مواكبة مستجدات وتقنيات العمل الصحافي. وللقيام بهذا الدور يحاول معهدنا الحصول على التمويل اللازم والدعم المادي والتقني من مؤسسات دولية غير حكومية أو من دول أجنبية. وهذه الدورة مثلاً قمنا بها بالتعاون مع مؤسسة «هيزيش بول» الألمانية.

وعن طريقة اختيار الصحافيين العراقيين تقول أبو فاضل:

- لقد تم الاتصال بالصحافيين العراقيين عبر أصدقاء ومؤسسات صديقة لنا في العراق طلبنا منهم أن يرسل كل صحافي راغب بالمشاركة في الدورة نسخة عن سيرته الذاتية وعلى أساس هذه السير وبعض التوصيات من مؤسسات صحافية اخترنا ١٥ صحافياً وهو العدد الذي نعتمده في دوراتنا التدريبية لأننا نفضل مجموعات العمل المصغرة حيث الاكتساب يكون أكبر والفائدة أعظم، ونقوم نحن أساتذة المعهد بتدريب هؤلاء الصحافيين بمعاونة صحافيين لبنانيين شاركونا في هذه الدورة من مثل الدكتور زهير هواري (السفير) الذي ألقى محاضرة وكان نقاش بينه وبين الصحافيين العراقيين وكذلك الإعلاميات سناء الجاك ومنى زيادة وشذا عمر خريجة معهدنا التي نفتخر بها. وهؤلاء الزملاء ينقلون لزملائنا العراقيين بعضاً من خبرتهم ووسائل التغلب على صعاب المهنة.

عن النقص الذي يعاني منه الصحافيون العراقيون تقول:

- بسبب حالة الحرب التي يعيشها العراق فإن الصحافيين العراقيين يعانون من نواقص عدة ونحن في لبنان نستطيع أن نتفهم حالهم لأننا عشنا تجربة الحرب المريرة. وبالطبع فإن هامش الحرية الصحافية المتوفرة في لبنان هو أكبر منه في العراق وفي معظم الدول العربية. أما المبادئ الصحافية والتقنيات الأساسية فبشكل عام هي متوفرة لدى الصحافيين العراقيين، ولكن ما ركزنا عليه نحن في المعهد وأركز عليه أنا شخصياً هو أخلاقيات المهنة وهذا ليس نقصاً في صحافة العراق فقط بل في لبنان أيضاً وفي معظم الدول العربية. فهناك سوء استعمال للمعايير الصحافية وأهمها مثلاً عدم احترام مصادر الأخبار فليس مقبولاً في يومنا هذا أن يستعمل الصحافي مواداً اخبارية من دون ذكر مصدرها ففي هذا العمل اعتداء على حقوق هذا المصدر عندما يجري نسخ مادته بدون ذكر اسمه. □

بول ماروديس